عنوان المحاضرة

نونية ابن زيدون٢

عناصر المحاضرة

- **السمات الفنية للقصيدة (قراءة أخرى)**
- **أسئلة استرشادية**

- **السمات الفنية للقصيدة (قراءة أخرى)**

هذه القصيدة تعكس ما وصل إليه الذوق الأندلسي من تمثيل حياة للفرد ودوافع العشق، وتتألف هذه القصيدة من مجموعة من الوحدات المترابطة فهي تملك الوحدة الموضوعية والعضوية ومطلعها يشي بحالة إعلان نفسي لنعي زمن الوصل وذلك من خلال قوله: -

أضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وقد استفتح قصيدته بالفعل الماضي (أضحى) الذي يعد إشارة الى مضمون القصيدة وهو اللوعة والحزن على الماضي والذكرى التي أصبحت ألما يعانيه الشاعر وحرقة على أيام الوصل وتساقي الهوى والتلاقي في رحاب الحب مع ولادة عشيقته وكيف تحولت تلك الليالي البيض إلى أيام سود لا يطيب له فيها شيء.

ومما جعل القصيدة بهذا الحد من الروعة والجمال هو قيامها على تلك التخالفية الجذابة المرتكزة على رمز الماضي وما فيه من جمال ووصال ورمز الحاضر وما آل إليه من جفاء وألم (تداني تنائي يخشى تفرقنا يرجى تلاقينا)

وهذه التخالفية أعطت للنص قيمته الفنية من خلال استدعاء الماضي ومعايشته بكل تفاصيله ثم الالتفات إلى الحاضر الحزين بكل مآسيه ولوعته وجعلنا نعيش مشاعره وأحاسيسه فنشعر بلوعته ونشفق عليه من خلال تعايشنا التام مع النص

يرتبط الزمن بالدورات أو الحركات الثلاثة المعروفة، وهي حركة مضت ويعبر عنها بالزمن الماضي وحركة حاضرة (الحال الزمن الحاضر) ويعبر عنها بالمضارع، وحركة آتية ويعبر عنها بالمستقبل إن الدلالة الزمنية تحقق من أزمنة الفعل الثلاثة (الماضي، المضارع، المستقبل) بالإضافة إلى دلالة فعل الأمر وهو مستقبل، والزمن متعلق بالفعل، فحد الفعل ما دل على زمان، والزمن أصل الفعل فرع في الاسم، فالفعل للزمن مطلقا، والاسم يدل عليه بمعناه الذي خصص له فقط.

لا ريب أن الشاعر ابن زيدون قد نظم قصيدته على زمنين الماضي و الحاضر، وأقام موازنة بين هذين الزمنيين، حيث ارتبطت كل من البؤر الزمنية بأحداث كانت لها تأثير في نفسية الشاعر، فالذكريات الماضية الجميلة عاشها في فترة تنسب إلى زمن الماضي و قد باتت صورا راسخة في ذاكرة الشاعر كونها تلهيه عن آلامه و تريح طباعه، وواقعه الذي يعيشه و يشعر به حين يلتفت إلى زمن الحاضر الأليم بكل مآسيه من فراقه بولادة بنت المستكفي، إن دمج الشاعر للزمنين الماضي والحاضر بإقامة مفارقة بينهما قد أعطت للقصيدة حركة وحيوية ودلالة مقصدية للأحداث التي عاشها الشاعر في تجربته .

ركز الشاعر ابن زيدون في قصيدته على استعمال صيغة الجمع بطريقة مغايرة للواقع، إذ كان لا يطابق الضمير مع صاحب حامله، وقد أتى ذلك كسبيل للإقناع وسبيل من سبل التعظيم للمحبوبة ولادة.

من التقابلات الضدية التي اعتمد عليها الشاعر في قصيدته الطباق والمقابلة، جعلت هذه الأخيرة القارئ مدركا للحالة الشعورية التي يمر بها الشاعر، وخلقت بذلك صورا ذهنية ونفسية متعاكسة لدى المتلقي ومن بين هذه التقابلات الضدية: (لا يبلي ويبلينا)، (يضحكنا ويبكينا)، (تفرقنا وتلاقينا)، (ابتلت جوانحنا وجفت مآقينا).

عمد الشاعر ابن زيدون على توظيف حرف النون وتكراره، كما جعله حرفا لقافيته تبيانا للحالة الشعورية الحزينة التي يمر بها الشاعر إذ يتوافق هذا الحرف مع الحزن والألم، وجاء

مندمجا مع معظم الألفاظ التي ساقها الشاعر ضمن حقل ألفاظ الحزن والأسى ومن بين هذه الألفاظ: التنائي، البين، حزنا، ناعينا، يبلينا، يبكينا.

الموسيقى واضحة جليه في هذه النونية الأندلسية وقد تميز الشعر الاندلسي بالإكثار من حروف الصفير والهمس والمد في صورة متناغمة مع حياتهم المتحضرة الهادئة الخلابة الطبيعة.

جاءت قافية القصيدة (ي ن ا) وقد أعطتنا بذلك لحنا خفيفا رقيقا تطرب له الآذان فالموسيقى هنا ظاهرة بوضوح خاصة بالقافية

فصوت النون أنفي يصدر أثناء البكاء من شدة الولع والفراق فلا شك في أن الحزين يصدر من أنفه صوتا شبيه به فكأن صوت النون بصفته هذه مخرجا هذا الحزن الذي يحمله الشاعر بين جوانحه.

وكذلك صوت المد الذي يكثر في القصيدة عامة. وصوت المد الألف عادة يخرج النفس من الصدر وكأنه يريد الشهيق والزفير لإخراج حزنه وتجديد حياته.

وبعد صوت المد نجد في البيت الثاني صوت الحاء المهموس الخفيف الرقيق مناسبا الحال الذي انطوى عليه المصير المؤلم

ألاّ وَقَد حـانَ صُبـحُ البَيـنِ، صَبّحَنـا حَيْـنٌ، فَـقَـامَ بِـنَـا للحَـيْـنِ نَاعِـيـنَـا

حيث نرى مشاعر الشاعر الواقفة أمام هذا الموقف عاجزة عن تصاريف القدر مستسلمة لهذا الجلل فلا قوة تفيد ولا فتوة تجدي، فجاء صوت ضعيف متهالك يائس في بحة الحزن ينعى الوصال لكنه حين يتذكر سبب هذا الشقاء (الوشاة) يأتي صوت الباء بقوته متفجرا بوجههم

مَـنْ مبلـغُ الملبسِينـا، بانتزاحِهـمُ، حُزْنـاً، مـعَ الدهـرِ لا يبلـى ويُبْليـنَـا

ونرى ازدواجية اللغة في قوله ..

- وَمَـا يُخشَـى تَفَرّقُنـا ومَـا يُـرْجـى تَلاقيـنَـا

تداني تنائي

في الخطاب الشعري لم يذكر ابن زيدون اسم محبوبته إجلالا وتعظيما لها وكان يخاطبها بضمير الجماعة (تدانينا - بكم - جوانحنا - إليكم - عهدكم - نأيكم - عنكم) ويستخدم أسلوب الجمع

لمخاطبة المفرد إذا كان المخاطب ذا مكانة كبيرة لدى المتكلم وهي تعني الإجلال والإكبار وعظم قدر المخاطب في النفس وذلك يدل على كمال ثقته في عظمة شخصيتها وجمال شخصها وكمال عفتها وصونها وهذا ما كان يشعر به ابن زيدون تجاه ولادة

غلب على النص (الجمل الفعلية) التي تعطي النص حركة وحيوية

أما لغة القصيدة ومعانيها فهي رقيقة رقة ابن زيدون فهو يجتذب الغرب والشرق لحسن ديباجة نظمه وسهولة معاينه فهو يجري في شعره على طبعه كالبحتري في المشرق، وهذا ما يفسر ما وقع من تلقائية في الفاظه.

- تتجلى ميول الشاعر الدينية وثقافته الإسلامية الواسعة واستثماره ذلك في ميدان البيان العربي الأصيل، يتجلى ذلك من خلال اقتباساته من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وانتفاعه به في تصاويره ودعم معانيه وتقرير أغراضه بوضوح لافت..

- يغلب على مذهب الشاعر ميله إلى توظيف عنصر التضاد- من طباق ومقابلة كلما أمكنه ذلك، واعتماده على المقابلة كان أكثر، ومع ذلك الميل جاء بديعه هذا رائقا.

- يتعلق الشاعر كذلك بالتقسيم البديع، مما يحدث التوازن المعنوي الجميل بين كل شطرين، وذلك شأنه في أغلب أبيات القصيدة.

- يغلب على الشاعر في تصويره البياني ابتناء الكنايات على الاستعارات، بحيث يرسم أولا في البيت صورة مجازية ثم يعقبها ثانيا بصورة كنائية، دعما لها ومؤازرة لمغزاها، وذلك يهيئ له سبل التوازن البديع الرائع.

- يطرد في أبيات القصيدة- على طولها- مطابقة الشاعر بين ضمير جماعة المتكلمين «نا» - ويقصد بها نفسه- وضمير جماعة المخاطبين «أنتم» - ويقصد بها ولادة- حبيبته-، وهذان الضميران يسهمان بوضوح في تحقيق التوازن بين طرفي البطولة في قصة القصيدة وفي عنصري الطباق والمقابلة الغالبين- أيضا- في أكثر الأبيات وجل المعاني، وكذلك يهيئان مع الطباق والمقابلة لذلك التقسيم البديعي الرائع الذي ميز تلك القصيدة عن غيرها من قصائد الشعر العربي في أغلبه..

- **أسئلة استرشادية:**

تعكس نونية ابن زيدون ما وصل إليه الذوق الأندلسي من تمثيل حياة للفرد ودوافع العشق.... وضح ذلك من خلال دراستك مع عرض ما تتميز به القصيدة من سمات فنية مع الاستشهاد

تميزت نونية ابن زيدون بالتقابلية الضدية والتي كشفت الحالة النفسية المتصارعة داخل نفس الشاعر وضح ذلك من خلال دراستك مع الاستشهاد.